بسم الله الرحمن الرحيم

مَدْرَسَةُ الحجِّ التَّربَوِيَّةُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذي فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ حَجَّ بَيتِهِ الحَرَامِ، لِيُطَهِّرَهُمْ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا وَالآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، فَرَضَ الحَجَّ تَرْبِيَةً لِلنُّفُوسِ وَتَهْذِيبًا، وَتَشْوِيقًا لِرِضْوَانِهِ وَتَرْغِيبًا، فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ طَافَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ، وَأَدَّى الشَّعَائِرَ العِظَامَ، وَنَشَرَ لِوَاءَ العَدْلِ وَالسَّلامِ، وَأَعْلَنَ المُسَاوَاةَ الحَقَّةَ بَيْنَ الأَنَامِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ، وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – أَيُّهَا المُسلِمُونَ – بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ تَكُونُوا مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ وَوَجَلٍ، احفَظُوا أَوَامِرَهُ، وَعَظِّمُوا حُرُمَاتِهِ وَشَعَائِرَهُ ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(١)، وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ مَوَاسِمَ الخَيْرَاتِ تَتْرَى، فَمَا تَنْقَضِي شَعِيرَةٌ إِلاَّ وَتَتَرَاءَى أُخْرَى، فَبِالأَمْسِ القَرِيبِ كَانَتْ مَحَطَّةُ رَمَضَانَ، زَادًا لِلْبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَفِي هَذِهِ الأَيَّامِ يَتَرَقَّبُ المُسلِمُونَ هِلالَ شَهْرِ الحَجِّ الأَعْظَمِ، وَنُفُوسُهُمْ تَسْتَشْعِرُ مَعَانِيَ الحَجِّ وَحِكَمَهُ وَأَسْرَارَهُ، فَالحَجُّ فِي حَيَاةِ المُسلِمِينَ مَدْرَسَةٌ عَظِيمَةُ العَطَاءِ، وَاسِعَةُ الأَثَرِ، بَلِيغَةُ العِبَرِ، إِنَّهُ مُؤْتَمَرٌ تَرْبَوِيٌّ، وَمَوْسِمٌ تَعْلِيمِيٌّ، تُضِيءُ إِشْرَاقَاتُهُ التَّرْبَوِيَّةُ، وَتُنِيرُ مَعَالِمُهُ الإِيمَانِيَّةُ، عَلَى جَمِيعِ أَفْرَادِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ، فَمَا مِنْ حَاجٍّ إِلاَّ وَتُحِيطُ بِهِ أَسْرَةٌ تُعَايِشُ استِعْدَادَهُ، وَتُلاحِظُ تَهَيُّؤَهُ وَزَادَهُ، فَتَتَأَثَّرُ بِنَشَاطِهِ الإِيْمَانِيِّ، وَتَتَرَبَّى بِمَنْهَجِهِ القُرْآنِيِّ، تَتَأَثَّرُ بِهِ وَهُوَ يَشْرَعُ فِي تَهْذِيبِ سِيرَتِهِ، وَتَنْقِيَةِ سَرِيرَتِهِ، تَرَاهُ يَشْرَعُ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ التَّبِعَاتِ، وَيَجِدُّ فِي أَدَاءِ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ، وَيَسْعَى فِي طَلَبِ الصَّفْحِ وَغُفْرَانِ الزَّلاَّتِ، يَصِلُ أَهْلَهُ وَرَحِمَهُ وَجِيرَانَهُ، وَيَبَشُّ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَيَتَزَوَّدُ الحَلالَ الطَّيِّبَ مِنَ المَالِ، بَعْدَ تَأْمِينِ حَاجَةِ الأَهْلِ وَالعِيَالِ، لِيَفِدَ عَلَى اللهِ طَاهِرًا

(١) سورة الحج / ٣٢ .

نَقِيًّا، وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ مُوَفِّيًا زَكِيًّا، امتِثَالاً لأَمْرِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١)، وَفِي الأَثَرِ: ((إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ حَاجًّا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ – أَيِ الرَّاحِلَةِ – فَنَادَى: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَلالٌ، وَرَاحِلَتُكَ حَلالٌ، وَحَجُّكَ مَبْرُورٌ غَيْرُ مَأْزُورٍ، وَإِذَا خَرَجَ بِالنَّفَقَةِ الخَبِيثَةِ، فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الغَرْزِ، فَنَادَى: لَبَّيْكَ؛ نَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: لا لَبَّيْكَ وَلا سَعْدَيْكَ، زَادُكَ حَرَامٌ وَنَفَقَتُكَ حَرَامٌ، وَحَجُّكَ مَأْزُورٌ غَيْرُ مَبْرُورٍ))، إِنَّ أَجْوَاءَ الطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ، وَأَشْكَالَ البِرِّ وَالوَفَاءِ، وَمَظَاهِرَ الحُبِّ وَالصَّفَاءِ، الَّتِي نُعَايِشُهَا مَعَ العَازِمِينَ عَلَى حَجِّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، تُرَبِّي فِينَا مَكَارِمَ الأَخْلاقِ، حِينَ نَتَيَقَّنُ أَنَّهَا قَوَاعِدُ يَجِبُ التِزَامُهَا فِي سَائِرِ الأَيَّامِ، فَاللهُ لا يَقْبَلُ إِلاَّ عَمَلَ الصَّالِحِينَ، وَلا يُثِيبُ إِلاَّ المُحْسِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

أَيُّهَا المُؤمِنُونَ:

فِي الحَجِّ تَرْبِيَةٌ عَلَى التَّسْلِيمِ وَالانْقِيَادِ لِشَرْعِ اللهِ العَظِيمِ، وَالإِيْمَانُ لا يَتِمُّ إِلاَّ بِالرِّضَا بِحُكْمِ اللهِ وَالتَّسْلِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٣)، يُقْسِمُ المَوْلَى العَزِيزُ العَظِيمُ، وَيُخَاطِبُ نَبِيَّهُ الكَرِيمَ ﷺ أَنَّ النَّاسَ لا يُؤْمِنُونَ حَقِيقَةَ الإِيْمَانِ، حَتَّى يَجْعَلُوكَ حَكَمًا فِيمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِي حَيَاتِكَ، وَيَتَحَاكَمُوا إِلَى سُنَّتِكَ بَعْدَ مَمَاتِكَ، ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ضَيْقًا مِمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ حُكْمُكَ، وَيَنْقَادُوا مَعَ ذَلِكَ انْقِيَادًا تَامًّا. إِنَّ اتِّبَاعَ أَوَامِرِ اللهِ تَعَالَى وَأَوَامِرِ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ صَمِيمِ الإِيْمَانِ مَعَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَالحَجُّ خَيْرُ مِثَالٍ لِتَحْقِيقِ هَذَا التَّسْلِيمِ، فَإِنَّ تَنَقُّلَ الحُجَّاجِ بَيْنَ المَشَاعِرِ وَطَوَافَهُمْ حَوْلَ البَيْتِ العَتِيقِ وَتَقْبِيلَهُمْ لِلْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَرَمْيَ

(١) سورة البقرة / ١٩٧ .
(٢) سورة المائدة / ٢٧ .
(٣) سورة النساء / ٦٥ .

الجِمَارِ وَغَيْرُهُ كَثِيرٌ، كُلُّ ذَلِكَ أَمْـثِلَةٌ حَيَّةٌ لِتَحْـقِيقِ هَذَا الانْقِيَادِ لِشَرْعِ اللهِ تَعَالَى وَقَبُولِ حُكْمِهِ سُبْحَانَهُ بِانْشِرَاحِ صَدْرٍ وَطُمَأْنِينَةِ قَلْبٍ، وَفِي الحَجِّ بِخُصُوصِهِ دَعَا إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ – عَلَيْهِمَا السَّلامُ – فَقَالا: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١)، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الفَارُوقِ عُمَرَ إِذْ يَقُولُ عَنِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ: ((إِنِّي أَعْـلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ، وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّـلُكَ مَا قَبَّـلْتُكَ))، وَفِي قَوْلِ عُمَرَ هَذَا التَّسْـلِيمُ لأَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَحُسْنِ الاتِّبَاعِ فِيمَا لَمْ يُكْشَفْ عَنْ مَعَانِيهَا، وَهُوَ قَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَفْعَلُهُ وَلَوْ لَمْ تُعْـلَمِ الحِكْمَةُ فِيهِ، وَالحَجُّ مَعَ ذَلِكَ تَرْبِيَةٌ لِنُفُوسِ المُؤْمِنِينَ، وَتَهْـذِيبٌ لِمَقَاصِدِ السَّالِكِينَ، أَنْ يُخْـلِصُوا أَعْمَالَهُمْ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَـٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(٢)، وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي حَجَّـتِهِ: ((اللَّهُمَّ حَجَّةً لا رِيَاءَ فِيهَا وَلا سُمْعَةَ))، فَهُنَاكَ حِينَ تَتْعَبُ الأَجْسَادُ، تَقْوَى صِلَةُ الأَرْوَاحِ بِرَبِّ العِبَادِ، فِي سَفَرٍ لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِهِ الرَّفَاهِيَةُ الجِسْمِيَّةُ، بَلِ التَّرْبِيَةُ الرُّوحِيَّةُ، وَالتَّزْكِيَةُ الإِيْمَانِيَّةُ، الَّتِي يُعَايِشُهَا الحَاجُّ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَيُعَايِشُهَا غَيْرُ الحَاجِّ بِمُشَاهَدَاتِهِ، حِيْنَ تَنْقُـلُ لَهُ وَسَائِلُ الإِعْلامِ مَشَاهِدَ الحَجِيجِ فِي المَشَاعِرِ العِظَامِ، بَعِيدًا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الحُطَامِ، يَذْكُرُونَ اللهَ لا سِوَاهُ، وَيَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَوْلاهُ، وَيَسْكُبُونَ العَبَرَاتِ طَمَعًا فِي عَفْوِهِ وَرِضَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾(٣).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ فِي شَعَائِرِ الحَجِّ تَرْبِيَةً اجتِمَاعِيَّةً تَدْعُو إِلَى مَحْوِ فَوَارِقِ اللَّوْنِ وَاللُّغَةِ وَالجِنْسِ، حِينَ

(١) سورة البقرة / ١٢٨ .
(٢) سورة غافر / ٦٥ .
(٣) سورة الحج / ٢٨ .

يَظْهَرُ الحُجَّاجُ كُلُّهُمْ كَالجَسَدِ الوَاحِدِ، يَعِيشُونَ فِي عَرَصَاتِ الحَجِّ المُبَارَكِ لَحَظَاتٍ تَتَجَسَّدُ فِيهَا مَعَانِي الأُخُوَّةِ الوَثِيقَةِ العُرَى، الَّتِي تُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ عَلَى اخْتِلافِ أَلْوَانِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، لِبَاسُهُمْ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الأَغْنِيَاءُ وَالفُقَرَاءُ، وَيَتَّحِدُ أَهْلُ المَنَاصِبِ وَالضُّعَفَاءُ، فَمَظْهَرُهُمْ وَاحِدٌ، وَيَتَوَجَّهُونَ إِلَى رَبٍّ وَاحِدٍ بِتَلْبِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَطُوفُونَ حَوْلَ بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَيُؤَدُّونَ نُسُكًا وَاحِدًا، إِنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ الحَيَّةَ تُوحِي إِلَى النَّاسِ أَنْ يَعِيشُوا مُتَآلِفِينَ، بَعِيدِينَ عَنْ دَوَاعِي التَّفَاخُرِ بِالأَنْسَابِ وَالأَلْقَابِ، فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ رَدَّ أَنْسَابَ النَّاسِ وَأَجْنَاسَهُمْ إِلَى أَبَوَيْنِ اثْنَيْنِ، لِيَجْعَلَ مِنْ ذَلِكَ مُلْتَقًى رَحْبًا تَتَشَابَكُ عِنْدَهُ الصِّلاتُ وَتَسْتَوثِقُ العُرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، لِذَلِكَ أُمِرَ الحَاجُّ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِإِخْوَانِهِ، مُلازِمًا الرِّفْقَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي مُنْصَرَفِهِ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى مُزْدَلِفَةَ: ((السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ)). إِنَّ الإِنْسَانِيَّةَ اليَوْمَ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى استِجْلابِ هَذِهِ المَعَانِي العَظِيمَةِ، مِنْ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ المُبَارَكَةِ، فَلا يَعْتَدِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، بَلْ يَعِيشُ الجَمِيعُ فِي سَلامٍ، وَمَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ أَنْ تَقْتَبِسَ مِنْ أَسْرَارِ الحَجِّ؛ مَا يُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنَ الأَنَانِيَّةِ وَالغِلِّ وَالحَسَدِ، وَيَرتَقِي بِهَا إِلَى أُفُقِ الإِسْلامِ الوَاسِعِ المَبَنِيِّ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاحْرِصُوا عَلَى تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ، وَاجْعَلُوا مِنْ مَنَاسِكِ الحَجِّ دَلِيلاً عَلَى مَبَادِئِكُمْ وَأَخْلاقِكُمْ، وَاقْتَفُوا فِي ذَلِكَ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ ؛ تُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَتَسْعَدُوا فِي آخِرَتِكُمْ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ

(١) سورة الحجرات / ١٣ .

(٢) سورة النساء / ٥٩ .

يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيْمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ البَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْـنًا، وَأَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا، لِيُعَلِّمَنَا الخَيْرَ كَرَمًا مِنْهُ تَعَالَى وَمَنًّا، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّ الإِسْلامِ، مُعَلِّمِ النَّاسِ الانْضِبَاطَ وَالنِّظَامَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ وَالقِيَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

إِنَّ البَشَرِيَّةَ مُحْـتَاجَةٌ فِي تَنْظِيمِ حَيَاتِهَا إِلَى النِّظَامِ وَالانْضِبَاطِ، وَمِنْ دُونِ الانْضِبَاطِ لا يَصْـلُحُ الإِنْسَانُ لِشَيْءٍ، بَلْ يُصْبِحُ فَاقِدَ الأَهْـلِيَّةِ، مَعْدُومَ الهُوِيَّةِ، تُسَيِّرُهُ أَهْوَاؤُهُ وَنَزَوَاتُهُ، لا يُؤْمِنُ بِالقِيَمِ وَلا بِالمُثُلِ وَلا بِالدِّينِ، فَهُوَ مُتَحَلِّلٌ مِنْ كُلِّ التِزَامٍ، خَارِجٌ عَنْ كُلِّ نِظَامٍ، لا وَزْنَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ، وَالإِنْسَانُ لِكَي يَكُونَ نَاجِحًا فِي حَيَاتِهِ، مُحْـتَرَمًا بَيْنَ النَّاسِ، لا بُدَّ أَنْ يَحُوزَ قَدْرًا مَعْـقُولاً مِنَ الانْضِبَاطِ فِي الكَلِمَةِ وَالمَوَاعِيدِ وَالسُّـلُوكِيَّاتِ، فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، فِي مَوَاعِيدِ استِيقَاظِهِ، فِي هَيْـئَتِهِ وَمَظْهَرِهِ الخَارِجِيِّ، وَكُلَّمَا زَادَ انْضِبَاطُ الإِنْسَانِ ارتَفَعَ فِي عَيْنِ نَفْسِهِ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ، وَكَانَ نَجَاحُهُ مُؤَكَّدًا وَمُستَمِرًّا بِإِذْنِ اللهِ، فَمَا أَجْدَرَنَا أَنْ نَسْـتَلْهِمَ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العِظَامِ، أَيَّامِ الحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، تَعَوُّدَ النِّظَامِ وَالتَّرْبِيَةَ عَلَى الانْضِبَاطِ، فَفِي الحَجِّ قُيُودٌ وَحُدُودٌ وَضَوَابِطُ لا يَجُوزُ لِلْحَاجِّ الإِخْلالُ بِهَا، تُعَوِّدُهُ حُبَّ النِّظَامِ وَالمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ، وَتُرَبِّيهِ عَلَى الانْضِبَاطِ بِامتِثَالِ الأَمْرِ وَتَرْكِ النَّهْيِ، إِنَّهُ تَوْجِيهٌ وَاضِحٌ لَنَا – مَعْـشَرَ المُسلِمِينَ – أَنْ نَتَرَبَّى عَلَى اعتِيَادِ النِّظَامِ فِي حَيَاتِنَا، فَالطَّوَافُ حَولَ الكَعْبَةِ مَعَ شِدَّةِ الزِّحَامِ، وَتَقْبِيلُ الحَجَرِ الأَسْوَدِ مَعَ كَثْرَةِ مَنْ يَقْصِدُ تَقْبِيلَهُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الوَسَائِلِ لِتَرْبِيَةِ المُسلِمِ عَلَى حُبِّ النِّظَامِ وَالبُعْدِ عَنِ الأَنَانِيَّةِ وَالفَوْضَى، وَفِي الحَجِّ – عِبَادَ اللهِ – دَعْوَةٌ إِلَى رِعَايَةِ المُحْـتَاجِينَ، وَسَدِّ حَاجَةِ المُعْوِزِينَ، بِمَا فِيهِ مِنَ البَذْلِ وَالإِحْسَانِ إِلَى الآخَرِينَ، وَالحَثِّ عَلَى العَطْفِ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ

فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾[1]، وفِي آيَةٍ أُخْرَى يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[2]، وهَكَذَا يَتَكَرَّرُ الحَجُّ كُلَّ عَامٍ، دَوْرَةً فِي الإِصْلاحَاتِ الاجتِمَاعِيَّةِ، ومَدْرَسَةً فِي المَشَاعِرِ الإِنْسَانِيَّةِ، ودُستُورًا لِسَعَادَةِ البَشَرِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، ولْيَكُنْ لَكُمْ فِي مَوَاقِفِ الحَجِّ ومَشَاهِدِهِ عِبْرَةٌ وذِكْرَى، وتَأَمُّلٌ وتَفَكُّرٌ، فَإِنَّهُ لَمْ يُشْرَعْ إِلاَّ تَرْبِيَةً لِنُفُوسِكُمْ، وتَهْذِيبًا لِسُلُوكِكُمْ، ورُقِيًّا بِأَفْكَارِكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً

(١) سورة الحج / ٢٨ .
(٢) سورة الحج / ٣٦ .
(٣) سورة الأحزاب / ٥٦ .

صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَاننَا وَأَعِزَّ سُلْطَاننَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.